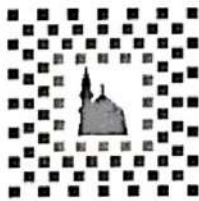


المدينة المنورة وشمال الحجاز

في كتب الرحلات خلال القرنين
التاسع والعاشر الهجريين

«دراسة تاريخية»

صالح بن مده الجدعاني



مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
Al-Madīnah Al-Munawwarah Research & Studies Center



وزارة الملك عبدالعزيز
KING ABDULAZIZ FOUNDATION
FOR RESEARCH AND ARCHIVES

٢٠١٤ م
١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجدعاني، صالح بن مده
المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب الرحلات خلال القرنين
التاسع والعاشر الهجريين: دراسة تاريخية. / صالح بن مده
الجدعاني. - المدينة المنورة، ١٤٣٥ هـ

٥٦٠ ص: ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٦-٣-٩٠٥٣٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الحجاز - تاريخ ٢- المدينة المنورة - تاريخ ا.العنوان

ديوي: ٩١٥,٣١٢٢٠٤ ١٤٣٥/٦٧٤٨

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٦٧٤٨

ردمك: ٦-٣-٩٠٥٣٧-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدارة الملك عبدالعزيز، ولا يجوز
طبع أي جزء من الكتاب أو نقله على أي هيئة دون موافقة كتابية
من الناشر، إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة
مع وجوب ذكر المصدر.

إعداد: صالح بن مده الجدعاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية العلوم الاجتماعية - قسم التاريخ والحضارة

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد رفع الله - تعالى - مكانة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأعلى قدرهما على ما سواهما من الأماكن، وعظّم شأنهما، وجعل القلوب تهفو إليهما، والأرواح تتطلع نحوهما، وخصّهما بشعائر عظيمة، ومناسك طاهرة، من ضمنها الحج والعمرة والزيارة، ولذا يحرص المسلمون في بقاع الأرض قاطبة على تعظيم هذين المكانين وزيارتها لاستكمال أركان الدين الإسلامي الحنيف، ونيل الأجر العظيم من شد الرحال إليهما.

وقد أولت حكومة المملكة العربية السعودية هاتين المدينتين المقدستين عنايةً فائقةً؛ إعماراً وتهيئةً وتنظيماً، فشهد الحرمين الشريفان في عهد هذه الدولة المباركة تطوراً كبيراً، وتوسعات استوعبت تزايد أعداد المسلمين الراغبين في زيارة هذه الأماكن الطاهرة، وتنظيماً فاق كل التوقعات، واهتماماً يستمدُّ العون من توفيق الله لقيادة هذه البلاد وشعبها برعاية هذين الحرمين الشريفين، وخدمة ضيوفهما ابتغاءً لوجهه الكريم، وتعظيماً لما عظمه الله.

وقد حرص مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة على نشر الكتب والدراسات العلمية المبنية على البحث والتأصيل والتقصّي لتاريخ هاتين

المدينتين المقدستين، انطلاقاً من رسالته السامية في خدمة تاريخ هذه البلاد الطاهرة، وحرصه على إمداد المكتبات العربية بالدراسات والبحوث التاريخية العميقة.

ويدرس هذا الكتاب الذي نقدّم له: المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب الرحلات في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، معرفاً بها، كما يعرف بالأحوال السياسية والتنظيمات الإدارية والحياة العلمية في المدينة المنورة وشمال الحجاز، ويتناول الحياة الاجتماعية هناك موضحاً عناصر المجتمع وعاداته وتقاليده، متطرقاً إلى الحياة الاقتصادية من زراعة وتجارة ومهن، مبيّناً بعض المظاهر العمرانية والمشاهدات الجغرافية في تلك المنطقة.

وقد رأى المركز طباعة هذا الكتاب ونشره ضمن إصداراته، بالتعاون مع دارة الملك عبدالعزيز؛ ليقينه بأهمية العناية بتاريخ هذه البلاد الطاهرة، وحرصه الدؤوب على نشر الدراسات والبحوث العلمية المتصلة بتاريخ المدينة المنورة، مؤملاً أن يجد فيه الباحثون والدارسون ما يُعينهم على إجراء دراساتهم العلمية، ويُسهم في إثراء المكتبة التاريخية العربية عموماً، والمكتبة الخاصة بالحرمين الشريفين.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المحتويات

| | |
|--|----|
| التقديم | ٧ |
| مقدمة | ١٥ |
| التمهيد | ٢٩ |
| أولاً: التحديد الإداري للمدينة المنورة وشمال الحجاز خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين. | ٣١ |
| ثانياً: الأحوال السياسية في المدينة المنورة وشمال الحجاز خلال الربع الأخير من القرن الثامن الهجري. | ٤٣ |
| ثالثاً: تعريف الرحلة وأنواعها. | ٥٥ |
| الفصل الأول: كتب الرحلات في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. | ٦٣ |
| أولاً: رسالة الغريب إلى الحبيب. تأليف: أبو عصيدة أحمد بن أحمد البجائي (المتوفى نحو سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م). | ٦٦ |
| ثانياً: رحلة القلصادي «تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب». تأليف: علي بن محمد القلصادي (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م). | ٧٩ |
| ثالثاً: قرّة العين في أوصاف الحرمين. تأليف: أبي عبدالله محمد المحجوب (من أهل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي). | ٩٦ |

- ١٠٣ رابعًا: نَشَابُ الأَخْبَارِ وتذكرة الأَخْيَارِ. تأليفُ: عبدالله بن الصباح الأصبَحي الأندلسي (من أهل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي).
- ١١٧ الفصل الثاني: كتب الرحلات في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.
- ١٢٠ أولاً: رحلات فَارْتِيمَا. تأليفُ: لودوفيكو دي فارتِيمَا «الحاجّ يونس المصري» (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م).
- ١٣٠ ثانيًا: المجموعُ الظريفُ في حجة المقام الشريف. تأليف أحمد بن يحيى بن شاكر بن الجيعان (ت ٩٣٠هـ/١٥٤٦م).
- ١٤٠ ثالثًا: البرقُ السامي في تعدادِ منازلِ الحاجِّ الشامي. تأليف: محمد بن علي بن طولون الصالحيّ (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م).
- ١٥٢ رابعًا: الدَّرَرُ الفَرَايِدُ المُنَظَّمَةُ في أَخْبَارِ الحَاجِّ وطريقِ مكة المَعَظْمَةِ. تأليف: عبدالقادر الجزيريّ (المتوفى نحو سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م).
- ١٦٧ خامسًا: الفوائدُ السنيةُ في الرحلةِ المدنيةِ والروميةِ. تأليف: محمد بن أحمد النهرواليّ (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م).
- ١٧٦ سادسًا: رحلةُ ابنِ عابدِ الفاسيّ من المغرب إلى حضرموت. تأليف: يوسف بن عابد الفاسيّ (ت ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م).
- ١٨٨ سابعًا: جَذْبُ القلوبِ إلى ديارِ المحبوبِ. تأليف: عبدالحق بن سيف الدين الدهلويّ (ت ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م).
- ١٩٩ الفصل الثالث: الأحوال السياسية والتنظيمات الإدارية في المدينة المنورة وشمال الحجاز.

| | |
|---|-----|
| المبحث الأول: الأحوال السياسية. | ٢٠١ |
| ١ - الأحوال السياسية في المدينة. | ٢٠١ |
| ٢ - الأحوال السياسية في شمال الحجاز. | ٢١١ |
| المبحث الثاني: التنظيمات الإدارية في المدينة وشمال الحجاز. | ٢٢٣ |
| ١ - الإدارة المحلية (الإمارة). | ٢٢٣ |
| ٢ - الوظائف الدينية والإدارية الأخرى. | ٢٢٦ |
| أ - القضاء. | ٢٢٦ |
| ب - الإمامة والخطابة | ٢٣٠ |
| ج - المؤذنون. | ٢٣٢ |
| د - شيخ الحرم. | ٢٣٤ |
| هـ - خدام المسجد النبوي. | ٢٣٦ |
| و - حاكم السوق. | ٢٣٩ |
| ز - كاتب الضبط. | ٢٤٠ |
| الفصل الرابع: الحياة العلمية في المدينة المنورة وشمال الحجاز. | ٢٤١ |
| المبحث الأول: مراكز العلم. | ٢٤٥ |
| ١ - المساجد. | ٢٤٦ |
| ٢ - المدارس. | ٢٥٠ |

| | |
|--|-----|
| ٣ - الأربطة. | ٢٥٣ |
| ٤ - منازل العلماء. | ٢٥٥ |
| ٥ - المجالس العلمية. | ٢٥٧ |
| المبحث الثاني: أساليب التعليم وأنواع العلوم. | ٢٦١ |
| المبحث الثالث: الإجازات العلمية. | ٢٦٥ |
| المبحث الرابع: المؤثرات الفكرية. | ٢٦٩ |
| الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية في المدينة وشمال الحجاز. | ٢٧٥ |
| المبحث الأول: عناصر المجتمع. | ٢٧٩ |
| المبحث الثاني: العادات والتقاليد. | ٢٨٧ |
| المبحث الثالث: الاحتفالات والموكب. | ٢٩٣ |
| المبحث الرابع: الأطعمة والأشربة. | ٢٩٩ |
| المبحث الخامس: اللباس والحلي. | ٣٠٧ |
| الفصل السادس: الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة وشمال الحجاز. | ٣١١ |
| المبحث الأول: الزراعة وطرق الري. | ٣١٥ |
| المبحث الثاني: التجارة. | ٣٣١ |
| المبحث الثالث: الأسواق والمواسم. | ٣٣٩ |
| المبحث الرابع: النقود والأوزان. | ٣٥٣ |

| | |
|--|-----|
| المبحث الخامس: المكوس والضرائب. | ٣٦٥ |
| المبحث السادس: الأعطيات والهبات. | ٣٧٥ |
| المبحث السابع: الحرف المهنية. | ٣٨١ |
| المبحث الثامن: الثروة الحيوانية. | ٣٨٧ |
| الفصل السابع: المظاهر العمرانية والمشاهدات الجغرافية في المدينة وشمال الحجاز. | ٣٩١ |
| المبحث الأول: منازل الحج (المدن، والقرى، والموارد المائية الواقعة على الطريق). | ٣٩٥ |
| المبحث الثاني: المسجد النبوي والمساجد الأخرى. | ٤٠٧ |
| المبحث الثالث: المنازل | ٤١٧ |
| المبحث الرابع: القلاع والحصون. | ٤٢١ |
| المبحث الخامس: الآبار والعيون. | ٤٣١ |
| المبحث السادس: الأودية والجبال. | ٤٣٧ |
| المبحث السابع: الزخارف والنقوش. | ٤٥٥ |
| الخاتمة | ٤٥٩ |
| الملحقات | ٤٧١ |
| الكشاف العام | ٤٩٩ |
| المصادر والمراجع | ٥٢١ |

المقدمة^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن تاريخ مدينة النبي ﷺ تاريخٌ زاخرٌ بالأحداث التي تشكل بمجموعها أهمية كبرى لا تخفى في التاريخ الإسلامي، فالمدينة هي عاصمة الإسلام الأولى، والمقر الأهم للخلافة الراشدة، وفيها وقعت أعظم المعارك الإسلامية في أول نشأة معالم الدولة الإسلامية. ولذا كان لمدينة النبي ﷺ المكانة العظمى والشرف الأسمى في نفوس المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وعلى مدى الأزمان، وذلك لكونها تضمُّ بين جنباتها مسجد النبي ﷺ الذي تُشدُّ إليه الرحال، فعن أبي هريرة^(٢) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرحال إلاَّ إلى

(١) أصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير في التاريخ الحديث من

قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض، بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم بن محمد المزيني، سنة ١٤٢٧ هـ.

(٢) هو: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، صحابيٌّ جليلٌ، اختلف في اسمه كثيرًا، كنيته أبو هريرة،

وبها اشتهر، أسلم عام خيبر ثم لازم النبي ﷺ، وهو أكثر الصحابة رواية للحديث، استعمله عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه على البحرين، توفي سنة ٥٧ هـ (٦٧٧ م) بالمدينة. (ابن عبدالبر، أبو عمر

يوسف بن عبدالله القرطبي النمري (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب،

ط ١، صححه وخرجه أحاديثه: عادل مُرشِد، عمّان: دار الأعلام، ١٤٢٣ هـ (٢٠٠٢ م)، =

ثلاثة مساجد: «مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى»^(١) كما أن فضل الصلاة في مسجده ﷺ عظيم، والأجر فيه كبير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»^(٢).

وفي المدينة تكامل نزول الوحي على نبينا ﷺ وبذلك اكتمل الشرع، وأتم الله النعمة. كما أن مدينة النبي ﷺ مركز مهم لمن قصد بيت الله للحج في ذهابه، وربما في عودته عند بعض الشعوب، فلا يكاد الحاج يفرغ من حِجته إلا وتشتاق نفسه ويعزم النية لزيارة مدينة النبي ﷺ في طريق عودته إلى بلاده.

وشمال الحجاز جزء مهم من أجزاء شبه الجزيرة العربية التي ميزها الله بميزات لا توجد في غيرها من بقاع هذا العالم، وله خصوصيته التاريخية والحضارية في تاريخ أمة الإسلام.

ولما لهذا المكان من خصوصية في تاريخ الأمة الإسلامية وحضارتها، نجد الدراسات المتعلقة به تحظى بخصوصية أيضاً، ولها من الأهمية ما يلفت

رقم الترجمة: ٣١٨٣، ص ٨٦٢-٨٦٤؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ (١٩٩٧م)، رقم الترجمة: ٢١٨٣، ج ٥، ص ١١٩-١٢٢.

(١) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م). صحيح البخاري، ط ١، اعتنى به: صهيب الكرمي، الرياض: بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، رقم الحديث ١١٨٩، ص ٢٣٣؛ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م). صحيح مسلم، ط ١، اعتنى به: صهيب الكرمي، الرياض: بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، رقم الحديث ١٣٩٧، ص ٥٤٧، واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري. صحيح البخاري، رقم الحديث ١١٩٠، ص ٢٣٣؛ مسلم. صحيح مسلم، رقم الحديث ١٣٩٤، ص ٥٤٦، واللفظ للبخاري.

أنظار الباحثين لذلك، كما أنَّ الحاجة الملحة لا تزال باقية لمزيد من البحث والدراسة في هذه المنطقة.

ومن هنا فإنَّ هذا التأليف من خلال كتب الرحلات في القرنين التاسع والعاشر الهجريين اللذين يوافقهما القرنان الخامس عشر والسادس عشر الميلاديان سيأتي بإذن الله بما هو جديد في الأحوال السياسية والمجالات الحضارية عن المنطقة المراد دراستها، من خلال ما رآه مؤلفو كتب الرحلات أو سمعوا به من غيرهم، أو نقلوه من كتب أخرى في رحلاتهم فأعطوا معلومات تاريخية وحضارية رُبَّما لا توجد في المصادر المعاصرة لمدة البحث.

ومما يميز كتب الرحلات أنها أعطت معلومات كبيرة القيمة عن منطقة البحث، وهي من مصادر التاريخ المهمة التي لا يمكن إغفالها، ويُعد مؤلفوها شهود عيان، وتتسم كتاباتهم بالحياد والموضوعية في أغلب الأحيان، وهي من أهم السمات المطلوبة في المصادر التاريخية.

ومن الأهمية بمكان تحديد موقع البحث؛ ليكون جهد المؤلف مركزاً، وعمله مثمراً، لذا حُدد بأطر مكانية وزمانية، أما المكان فهو المدينة وشمال الحجاز. ومدينة رسول الله ﷺ معروفة في موقعها، واضحة في حدودها، وشمال الحجاز على الرغم من أهميته في الجانب التاريخي والحضاري فإنه موضع خلاف^(٣) في تحديد معالمه بدقة، وما ذكر ما هو إلا اجتهادات من مؤلفي

(٣) أشار عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية فضيلة الشيخ: بكر بن عبدالله أبي زيد إلى وجود خلاف كبير في تحديد شمال الحجاز وجهات الحجاز الجنوبية والشرقية حيث قال: «لكن هناك خلاف كبير في نهاية الحدود للحجاز جنوباً وشمالاً وشرقاً؛ مما يقتضي الإدخال والإخراج لجزء كبير من المساحات والقرى والديار. وهذا بحاجة إلى علماء متخصصين يصنفون كلام أهل العلم في ذلك قديماً وحديثاً، ويطبّقون التحديد عن مشاهدة وعيان». (بكر بن عبدالله أبو زيد، خصائص جزيرة العرب، ط ٢، مكة المكرمة: دار عالم =

كتب معاجم البلدان القدامى والباحثين المحدثين وقد حددت منطقة البحث باجتهاد من المؤلف، بعد دراسة أقوال جميع الأطراف وتأملها في مبحث خاص بذلك في التمهيد، مع بيان أهمية المرحلة الزمنية لموضوع التأليف.

ولقد وُسم الكتاب في عنوانه بكتب الرحلات، التي قام مؤلفوها برحلاتهم إلى منطقة الدراسة، أو كانت المنطقة ضمن طريقهم إلى مكة المكرمة أو غيرها من أقاليم شبه الجزيرة العربية، ولعدم اشتها بعض كاتبها هذه الرحلات، أُحِبُّتُ وسم الموضوع بكتب الرحلات بدلاً من كتب الرِّحَالين، إذ إنَّ الوصف الأخير «رِحَال على وزن فعَال»^(١) يشير إلى كثرة الترحال، الأمر الذي لا نجزم بثبوته لجميع أصحاب الرحلات ضمن هذا البحث، فبعضهم إنما كتب رحلته عندما جاء لأداء فريضة الحج أو العمرة أو لغرض آخر، فدقة التعبير تدعو إلى أن نسم الموضوع بكتب الرحلات.

الدراسات السابقة:

بعد الجهد الذي بذلته في التأليف عن المنطقة المراد دراستها في كتب الرحلات في المدة الزمنية المحددة للبحث، وبعد الاطلاع على عدد من الفهارس العلمية المتخصصة في الدراسات التاريخية والحضارية^(٢) وقواعد

= الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٩، ٢٤).

(١) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٠٨م). تهذيب اللغة، ط ١، تحقيق: رياض زكي قاسم، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)، ج ٢، ص ١٣٨١؛ ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). لسان العرب، ط ١، اعتنى به: أمين محمد، ومحمد العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٦هـ (١٩٩٥م)، ج ٥، ص ١٧٠.

(٢) الدليل الجغرافي للرسائل الجامعية في مصر (١٣٤٠ - ١٣٩٣هـ / ١٩٢٢ - ١٩٧٤م)، مركز الأهرام للتنظيم الميكرو فيلم (محرر)، المجلد الأول، الإنسانيات، القاهرة، ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).

المعلومات الإلكترونية الحديثة، ولم أجد دراسة سابقة تطرقت للموضوع، فاستشرت عددًا من المختصين في الدراسات التاريخية والحضارية في المملكة العربية السعودية وبعض البلدان العربية والإسلامية^(١) فأكدوا أهمية الموضوع وحثوا على دراسته.

وبعد البحث والاستقصاء، كان كل ما وجدته هو مجموعة من الدراسات التي تناولت موضوعات محددة ركزت على الحج في بعضها وعلى الحياة العلمية في بعضها الآخر. أما الدراسات التي ركزت على الحج فهي:

أ - طرق الحج ومرافقه في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)، أمانة حسين جلال، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، رسالة ماجستير، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

ب - إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٨-١٥١٧م)، دراسة تاريخية حضارية، عائشة بنت مانع بن عبيد العبدلي، جامعة أم القرى، كلية

(١) أجرى المؤلف لقاءات علمية مع عدد من أساتذة وأكاديميين في تخصصات التاريخ الإسلامي والحديث في أثناء عقد ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية التي نظمتها دار الملك عبدالعزيز في ٢٤-٢٧ رجب، ١٤٢١هـ (٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م)، في المدة المذكورة، ومنهم الدكتور: عبدالكريم كريم من جامعة محمد الخامس بالرباط، والدكتور: عبدالناصر إحسان كعدان من جامعة حلب، والدكتور: جلال السعيد حفناوي بجامعة القاهرة، والدكتور: أحمد حاج علي خان مدير مركز حماية المخطوطات العربية في إسلام آباد. أما من تونس فقد التقيت بالدكتور جلال عليبي في أثناء زيارته العلمية للرياض ومن طريقه حصلت على رحلة مخطوطة من مصادر البحث الرئيسة في القرن التاسع الهجري بعنوان «نشأب الأخبار وتذكرة الأخيار لعبدالله بن الصباح الأصبحي الأندلسي». فلهم جميعًا وافر الشكر والتقدير.

الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م)، نشرت عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م).

ج - خدمات الحج في الحجاز في العصر العثماني ابتداءً من عام (٩٢٣-١٢١٨هـ)، عزة عبدالرحيم شاهين، جامعة المنصورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، رسالة ماجستير، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).

فهذه الدراسات العلمية الثلاث، نجدتها تتطرق إلى موضوع واحد وهو الحج وما يتعلق به من تنظيم وخدمات تُقدم إلى حجاج بيت الله عمومًا في كل من العصرين المملوكي والعثماني ويُلاحظ على هذه الدراسات العلمية أنها لم تُفد من كتب الرحلات المخطوطة أو المطبوعة التي ستشكل المادة العلمية الرئيسة لهذا الكتاب سوى رسالة «إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة» للطالبة عائشة بنت مانع العبدلي حيث رجعت للجزيري والقلصادي في بعض المباحث في رسالتها، وهذا بإذن الله ما يكون فيه الجديد في هذا الكتاب عن الأحوال السياسية والجوانب الحضارية عن المنطقة المراد دراستها من خلال ما توافر من مادة علمية عنها في كتب الرحلات التي حصرت في هذه الدراسة.

أما الدراسات التي تناولت النشاط العلمي فهي:

أ - الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)، خالد محمد الجابري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤١٥هـ (١٩٩٤م).

ب - التعليم في الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)، محمد

عبدالله محمد آل عمرو، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية المقارنة، رسالة دكتوراه، ١٤١٨ هـ (١٩٩٧ م).

وهاتان الدراستان تختصان بجانب حضاري معين وهو الحياة العلمية وما يتعلق بها، وتعالجان هذا الجانب من مصادر متعددة ويُلاحظ على هاتين الدراستين أنهما لم تُفيدا من معظم الرحلات التي سيعتمد عليها المؤلف بوصفها مادة رئيسة لهذا الكتاب.

ومن الدراسات التي تذكر في هذا المجال، الدراسات التي تتعلق بمجال الآثار في الحجاز عمومًا، وتاريخ المدينة المنورة خصوصًا، ومنها ما يأتي:

أ - الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والتركي، محمد بن فهد الفعري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، رسالة دكتوراه، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

وهذه الدراسة كما هو واضح من عنوانها تتعلق بمجال الآثار وما تتضمنه الكتابات والنقوش عن الحجاز قاطبة، ولم يعتمد مؤلفها على الرحلات المطبوعة أو المخطوطة التي هي مصدر الباحث في كتابه هذا.

ب - المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣ هـ)، دراسة تاريخية، عبدالرحمن مديرس المديرس، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، رسالة دكتوراه، نشرت في عام ١٤٢٢ هـ (٢٠٠١ م)، من طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وهذه الدراسة في تاريخ المدينة المنورة تتناول الأوضاع السياسية والأحوال الاقتصادية والحياة الاجتماعية والأحوال الدينية والحياة العلمية، وهي من الدراسات الجيدة عن المدينة، ومن مصادر متعددة، ورجع الباحث فيها إلى بعض الرحلات التي هي أساس مصدر الرسالة مثل الجزيري والقلصادي

وهذا ما سيوفر - بإذن الله - الجديد عن المدينة وشمال الحجاز من خلال كتب الرحلات الأخرى في هذا الكتاب.

ومن الدراسات التي تذكر في هذا الجانب وهي سابقة لزمن البحث «مكة المكرمة والمدينة المنورة في رحلة ابن بطوطة دراسة تاريخية وحضارية مقارنة في القرن الثامن الهجري»، أحمد هاشم أحمد بدر شيني، جامعة الملك عبدالعزيز، بحث مقدم بوصفه جزءاً من متطلبات الحصول على درجة الماجستير، ١٤١٦هـ (١٩٩٥م). وكذلك من الدراسات الجيدة السابقة لزمن البحث «الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة»، عواطف محمد يوسف نواب، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، رسالة ماجستير، نشرت عام ١٤١٧هـ (١٩٩٦م). من طريق مكتبة الملك فهد الوطنية.

ومن الدراسات اللاحقة لمدة البحث «كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر دراسة تحليلية نقدية مقارنة»، عواطف محمد يوسف نواب، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، رسالة دكتوراه لم تنشر حتى الآن، وهي من الدراسات القيمة عن تاريخ الحجاز.

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا جلياً أن الموضوع لم يحظ بدراسة علمية تمنع من بحثه ودراسته، وأرجو من الله تعالى أن يأتي هذا الكتاب بجديد في مجال خدمة تاريخ مدينة رسول الله ﷺ وشمال الحجاز في عدة جوانب من خلال كتب الرحلات التي تحوي قدرًا علميًا وتراثًا حضاريًا مهمًا، ورصد هذه الرحلات والتعريف بها، وبأصحابها.

أما المادة العلمية:

فمن خلال عنوان الكتاب يتبين أن مادته العلمية يتركز وجودها في كتب الرحلات التي ألفت عن المنطقة المراد دراستها خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، سواء المطبوع، أو المخطوط، ومن هذه الرحلات المخطوطة ما يأتي:

١ - «قرة العين في أوصاف الحرمين»، لأبي عبدالله محمد المحجوب، من أهل القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي، ولها أربع نسخ في الأماكن الآتية: نسخة في المكتبة الوطنية في باريس محفوظة برقم: ١٢٠٣/٤؛ ونسخة أخرى في دار الكتب الوطنية بتونس محفوظة برقم: ٤٤٤٢؛ ونسخة في الخزانة الملكية (الحسنية) في المغرب في مدينة الرباط محفوظة فيها برقم، ٤٦٤٢، ٣٦٤٨، ونسخة في مكتبة الملك فهد الوطنية محفوظة تحت رقم ٤٤٢. وكانت نسخة المكتبة الوطنية في باريس هي المعتمدة لدى الباحث في الدراسة مقارنة بالنسخ الأخرى.

٢ - «نشأب الأخبار وتذكرة الأخيار»، لعبدالله بن الصباح الأصبحي الأندلسي، من أهل القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي، ولها نسخة واحدة في دار الكتب الوطنية بتونس محفوظة برقم: ٢٢٩٥.

٣ - «الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية»، لمحمد بن أحمد بن محمد النهروالي (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م)، ولها نسخة محفوظة في مكتبة ولي الدين في تركيا بإستانبول برقم ٢٤٤٠.

٤ - «جذب القلوب إلى ديار المحبوب»، لعبدالحق سيف الدين الدهلوي (ت ١٠٥٢هـ / ١٦٤٢م)، وهي باللغة الفارسية وتمت في سنة ٩٨٩هـ

(١٥٨٩م). ولها أربع نسخ في الأماكن الآتية: نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس، محفوظة فيها برقم: ١٨٩٧؛ ونسخة في مكتبة دار العلوم الإسلامية في باكستان في مدينة بيشاور، محفوظة برقم: ١٤٦٢، ١٤٣٧/٣؛ ونسخة في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة، محفوظة برقم: ٣١٥١، ٣١٥٢؛ ونسخة في أوزباكستان في مدينة طشقند العاصمة، محفوظة برقم: ٩٨٣٣.

وأما الرحلات المطبوعة فهي ما يأتي:

١ - «رسالة الغريب إلى الحبيب»، لأبي عصيدة، أحمد بن أحمد أبي عصيدة البجائي (المتوفى حوالي ٨٦٥هـ / ١٤٦١م)، تعريف وتلخيص: أبي القاسم سعد الله، ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م).

٢ - «تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب»، لأبي الحسن علي بن محمد القلصادي (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م)، ط ٢، تحقيق: محمد أبو الأجفان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

٣ - «رحلات فارتيفا» (الحاج يونس المصري)، لودفيكو دي فارتيفا (ت ٩٢٣هـ / ١٥١٧م). ط ١، ترجمة وتعليق: عبدالرحمن بن عبدالله الشيخ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٥هـ (١٩٩٤م).

٤ - «المجموع الظريف في حجة المقام الشريف». أحمد بن يحيى بن شاكر بن الجيعان (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م). ولها نسخة واحدة في دار الكتب المصرية تحمل الرقم: (٨٥٤ جغرافية)، وقد نشر حمد الجاسر معظم أجزاء الرحلة في مجلة العرب إلا جزءاً يسيراً لم يرَ

له حاجة في نشره، وهو من صفحة ١٠١-١١٠ يتعلق ببعض مشاعر الحج وأخباره القديمة.

٥ - «البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي»، محمد بن علي بن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، لها نسخة في دار الكتب المصرية بالمكتبة التيمورية محفوظة ضمن مجاميع: ٧٩، وقد حصلت على المخطوط الأصل، وقد نشرها حمد الجاسر كاملة في مجلة العرب^(١).

٦ - «درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة». عبدالقادر بن محمد الجزيري (المتوفى تقريباً ٩٧٧هـ/١٥٦٩م). ط ١، أعده للنشر: حمد بن محمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

٧ - «رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت»، يوسف بن عابد بن محمد الفاسي (ت ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م)، ط ١، تحقيق: إبراهيم السامرائي وعبدالله محمد الحبشي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).

وقد استخرجتُ المادة العلمية من خلال كتب الرحلات التي ألفت عن المنطقة المراد دراستها وفي المدة الزمنية المحددة للبحث، متطرقاً إلى كل ما يتعلق بالحياة البشرية، من الأحوال السياسية، وبيان الأمور التنظيمية الإدارية، من الإدارة المحلية للمدن الواقعة في نطاق البحث، وما يتبعها من قرى مذكورة في كتب الرحلات.

(١) حمد بن محمد الجاسر، البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي، لابن طولون، محمد بن علي الحنفي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، مجلة العرب، س ١٠، جمادى الأولى والثانية، ١٣٩٦هـ (مايو ويونيو ١٩٧٦م)، ج ١١-١٢، ص ٨٦٩-٩٠٥.

وتضمنت المادة العلمية لهذه الدراسة الحديث عن الحياة العلمية وما يتصل بها؛ كالحديث عن المساجد والمدارس والأربطة ومنازل العلماء والمجالس العلمية والإجازات العلمية، وأثر ذلك في النهضة العلمية في المنطقة المذكورة، مع إيضاح مناهج التعليم وطرقه وأنواع العلوم المتعددة التي دُرِّسَتْ والتأليف والمؤثرات الفكرية وأثرها في الحياة العلمية في المدينة وشمال الحجاز.

ومن ذلك أيضًا الحديث عن الحياة الاجتماعية وما تتضمنه من فئات المجتمع، مع بيان عاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم ومواكبهم، والزينة والحلي التي يلبسونها، والأطعمة والأشربة التي يتناولونها، والمصطلحات غير العربية المتداولة بين فئات المجتمع، الناتجة عن تعاملهم المباشر مع الشعوب المختلفة القادمة إلى المنطقة المراد بحثها.

وشملت المادة العلمية ما يتعلق بالنشاط الاقتصادي من معلومات تتصل بالزراعة، وطرق الري، والتجارة، والحرف المهنية، والثروة الحيوانية، والنقود والأوزان، والمكوس والضرائب، والأعطيات والهبات، وأثر ذلك في حياة السكان في المدينة وشمال الحجاز.

وأخيرًا كان الحديث عن المظاهر العمرانية والمشاهدات الجغرافية التي وصفها لنا أصحاب تلك الرحلات عن المدينة وشمال الحجاز مثل منازل الحج كالمدن، والقرى، والموارد المائية، والمساجد، والمدارس، والأربطة، والقلاع والحصون، والزخارف والنقوش، والآبار والعيون، والأودية والجبال.

وختامًا:

أحمد الله تعالى على ما منَّ به من إنجاز هذا الكتاب، وأهدي شكري

الجزيل لكل من كانت له يدٌ عليّ في هذا العمل، من أهل وأساتذة وزملاء وأصدقاء.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد. وليعلم القارئ الكريم أنني بذلت غاية جهدي وأقصى طاقتي، فما كان من صواب فمن الله وحده توفيقاً منه، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وعلى الله وحده توكلت وعليه اعتمد، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(١).

اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك الكريم وتجاوز عني برحمتك إنك قريب سميع مجيب للدعاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.